الفصل الثالث

التصور الإسلامي

للخالق جـــلَّ شـــأنه

والإنسان والكون والحياة

صفحة بيضاء ٤٨

التصور الإسلامي للخالق جلَّ شأنه والإنسان والكون والحياة

شمولية نظرة الإسلام إلى الخالق جلّ شأنه وإلى الإنسان وإلى الكون والحياة وقصورها في المذاهب الأخرى:

إنّ نظرة الإسلام إلى الخالق جلّ شأنه وإلى الإنسان والكون والحياة نظرة شاملة وليست قاصرة كنظرة مختلف المذاهب الفكرية والفلسفات المنبثقة من الفكر الإغريقي الوثني والفكر الغربي المادي الملحد المنبثق من الماسونية والصهيونية. وعند استعراضنا للوجودية والبرناسية والسريالية والواقعية بكل أنواعها ومسمياتها، والعلمانية والعقلانية والبنيوية وغيرها من المذاهب والفلسفات والمعتقدات التي غزت أدبنا العربي نجد قصور نظرتها إلى الخالق جلّ شأنه كالشيوعية والعلمانية والوجودية الملحدة، ومنها من قال بتعدد الآلهة وجعل للفن إلها، مثل توفيق الحكيم الذي جعل للفن إلهاً في "راقصة المعبد"، وهناك من جعل الإله صغيراً يلهو معه كما فعل صلاح عبد الصبور في قصيدة "الإله الصغير" وثالث جعل الإله يموت كأدونيس في قصيدة "الإله الميت"، وغيرهم كثير ممن تأثر بالفكر الإغريقي الوثني.

أمّا عن نظرتها للإنسان، فمنها من نظر إليه أنه مادة، ومنها من نظر إليه أنه روح أي قامت على تجزئة الإنسان إمّا مادة أو روح، فالوجودية والشيوعية والعلمانية والواقعية الاشتراكية وغيرها نظرت إلى الإنسان أنه مادة فقط أي نظرة مادية بحتة، بينما نجد الواقعية السحرية في بعض مواقفها نظرت إلى

الإنسان أنه روح فقط، في حين نجد البنيوية تلغي مصير الإنسان وتعتبره كالآلة والوجودية الملحدة تقول بعبثية الخلق وتلغي دور الإنسان في عمارة الأرض والاستخلاف.

نظرة الإسلام إلى الخالق جلّ شأنه:

بينما نظر الإسلام إلى الخالق جلّ شأنه نظرة تقر بوحدانيته وألوهيته وقدرته ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾**﴾، ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾، ﴿**فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ**﴾، ﴿**لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ**﴾

نظرة الإسلام إلى الإنسان:

ونظر الإسلام إلى الإنسان نظرة شاملة لم تقم على التجزئة، فالإنسان في الإسلام مادة وروح فهو مزيج من قبضة من طين الأرض ونفحة من روح الله امتزج الاثنان في كيان واحد مترابط رغم اختلافهما، ويوضح هذا قوله تعالى في سورة ص ﴿**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾**﴾ وقد تعامل الإسلام مع الإنسان وفق هذه النظرة، ووضع تعاليمه له موازناً فيها بين المادة والروح فلا يبخس للجسد حقاً ليوفي حقوق الروح فيحرم المباح ولا يبخس للروح حقاً ليوفي حقوق الجسد فيبيح المحرمات وهنا تتجلى لنا معجزة الإسلام في مراعاته لنظرة الإنسان؛ إذ وازن بين رغباته الحيوانية وسموه الملائكي، فالإنسان في التصور الإسلامي من حيث طبيعته موحد بين النواحي المادية والروحية والحاجات النفسية؛ إذ لا يؤمن بحيوانية الإنسان فقط أي ماديته كالداروينية

التي نشأت عنها المذاهب المادية كالماركسية والفرويدية، ولا يؤمن برهبانية الإنسان كالبوذية والهندوكية، يقول تعالى:﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾، وإنما الإنسان مادة وروح معاً يوضح هذا قوله تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾.

ولا تقتصر نظرة الإسلام إلى الإنسان من حيث طبيعته ومكوناته، وإنما تمتد إلى تكريمه ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ كما تمتد إلى كينونته ودوره في الحياة، فالإنسان في القرآن مخلوق مكلف ذو رسالة هي الاستخلاف ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1] أي أنّ الإنسان لم يخلق عبثاً كما تقول الوجودية وإنما خلق لمهمة كبرى هي" عمارة الأرض "،وذلك لتحقيق الغاية العليا من خلقه وهي عبادة الله ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾.

نظرة الإسلام إلى الكون:

أمّا نظرته للكون فهي تتلخص في أنه آية من آيات الله الكبرى،وصورة فذّة من صور قدرته العظمى، وشاهد على وجوده وكماله جلّ شأنه، وأنه ميدان للنشاط الإنساني، إذ يستخدم فيه الإنسان طاقاته وإمكاناته ويسخره لمنفعته، وأن إرادة الله وراء ما يحدث في الكون، وأن الكون مسير ومدبر دائما بقدرة الله ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾، وأن الكون كله قانت لله ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾[2].

(١) البقرة: ٣٠ .

(٢) الإسراء: ٤٤ .

وأنّ كثيراً مما في هذا الكون مسخر للإنسان ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ**﴾(١).

نظرة الإسلام إلى الحياة:

تتلخص نظرة الإسلام إلى الحياة في التالي:

١- أن الحياة الدنيا دار امتحان وابتلاء يمر بها الإنسان ليصل إلى الآخرة، وأن الحياة الآخرة هي الحياة الدائمة ولا موت فيها، وقد وصف الله جلّ شأنه الحياة الدنيا بأنها حياة لهو مملوءة بالزينة والزخرف والشهوات ﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ**﴾(٢)

٢- وهي متاع مؤقت ومكان عبور لا يجوز اتخاذها غاية﴿**يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا ﴿١٠٤﴾**﴾(٣)

٣ - أنها دارتعب وكدح وجد ﴿**يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ ﴿٦﴾**﴾ [**الانشقاق**: ٦](٤)

(١) البقرة: ٢٩ .
(٢) الحديد: ٢٠ .
(٣) طه: ١٠٢ - ١٠٤ .
(٤) الانشقاق: ٦ .